

عاشوراء من مناسبة دينية جامعة إلى محطة سياسية

إيران تستغل عاشوراء لشد العصب الشيعي بإفراغ المناسبة من بعدها الديني



تراجميديا عاشوراء

ويرى فاروق يوسف أن إيران تتخذ من ممارسة الطقوس الدينية في المجتمعات ذات الغالبية الشيعية مناسبة لتكريس فكرتها عن المسيرات الجنائزية التي سبق للخميني أن اعتبرها واحدة من أهم ركائز بقاء الجمهورية الإسلامية.

لذلك فإنها تحرص على أن تكون تلك الطقوس واجهتها في مقابل عالم الإسلام «السنّي» الذي تعتبره عدوا لها، في محاولة منها لتشتيت الانتظار عن فشلها في إدارة ملفات أزمتها المتفاقمة والتي تدفع بها إلى طريق العودة إلى المجتمع الدولي.

توظيف سياسي

تستغل إيران المناسبة لشد العصب الشيعي بإفراغها من بعدها الديني وإعطائها صبغة سياسية بحتة في مواجهة الدول الإسلامية السننية خاصة، جاعلة عبرها الطائفة الشيعية في مختلف الأقطار العربية والإسلامية بمثابة حصان طروادة لإثارة الفتنة والتخريبية.

ويستمر نظام الملالي في طهران، منذ ثلاثة عقود في سياسة توسيع نفوذها باعتماد الميليشيات، في لبنان والعراق واليمن ودول الخليج العربي، وتبدو هذه السياسة وكأنها ترجمة حرفية لمعتقدات خاصة، أقرب إلى العنصرية، تعتمد طهران مستغلة بخطاب طائفي وديني لتبرير سلوكياتها العدوانية.

ويرى مراقبون أن إيران التي لعبت بقوة على البعد الطائفي في المنطقة، وحاولت استغلال هذا المعطى من خلال شخصته بمقولات سياسية، حولت وجود الطوائف، باعتباره عامل تنوع وإثراء داخل المجتمعات، إلى طائفية بكل ما تحلّل إليه من تعصب وتشنج مذهبي، ثم حولته إلى منهج رسمي للدولة، تضامر مع خطتها الإستراتيجية لتصدير الثورة.

واعتبر يوسف في تصريح لـ«العرب» أن طهران لا تملك بديلاً واقعياً تستطيع من خلاله أن تحشد من أجل حروبها المؤجلة سوى أن تضع الجماعات التابعة لها بين قوسي مظلمة ال البيت المزعومة ومظلوميتها في عصرنا الحالي. وفي ذلك

تستعمل كل ما لديها من وسائل لغسل العقول، بحيث تصل الخرافة القائمة على مروييات مشكوك في أمرها محل التفكير العقلاني الذي يعلي من شرط وجود الإنسان كقيمة عليا.

إيران تستغل المناسبة لشد العصب الشيعي بإفراغها من بعدها الديني وإعطائها صبغة سياسية بحتة في مواجهة الدول الإسلامية السننية خاصة، جاعلة عبرها الطائفة الشيعية في مختلف الأقطار العربية والإسلامية بمثابة حصان طروادة لإثارة الفتنة والتخريبية.

وكان مقتل الحسين على يد والي يزيد في البصرة والكوفة حيث أرسل قوة لمواجهة مع العدد القليل من أنصاره، مما اضطره إلى مواصلة السير باتجاه كربلاء حيث جرت محاصرتهم ومنع الماء عنهم، ومن ثم قتلهم وأسر النساء والأطفال من الإمام الرابع لدى الشيعة.

وقد شكلت هذه الواقعة بمقتل الحسين وأنصاره وسبي أهله، منعطفا هاما في تحديد المنحى الذي سارت عليه طقوس الطائفة الشيعية، الأمر الذي أسهم، إلى حد كبير، في تشكيل هويتها.

ولكن كانت الذكرى في المنطق رمزا لمناسبة دينية جامعة فإن الدولة الصفوية اشتغلت عليها لخلق تمايز ديني حقيقي عبر الحرص على تكريس سلوكيات جديدة، في إطار صراعها آنذاك مع العثمانيين، وركزت على نقاط الاختلاف والإشارة والفصل المذهبي بين السنة والشيعة.

وكرس نظام ولاية الفقيه، تحويل المناسبة الدينية الجامعة إلى منصة سياسية للطوائف الإسلامية إلى منصة سياسية حرص وإتباعه على استغلالها وتوظيفها سياسيا عبر مختلف المنابر من أجل بث وتشر ثقافة الفرقة والاختلاف وبث السموم والدعوة للفتنة والتخريب على الشعوب والدول.

ويدعي المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي وحزب الله أنهما يمثلان الحسين، بغية استغلال عاشوراء وواقعة كربلاء كأداة لاستقطاب الشيعة، ومناسبة لتعزيز مصالحهما ومواقفهما السياسية لمنحهما شرعية باسم الحسين واستدراج عطف الشيعة، فيما الحسين براء من كل المواقف والحروب التي تخاض باسمه داخل الأمة.

على يد جيش يزيد بن معاوية. وفي لبنان ارتدى الآلاف الثياب السوداء، وعصبوا رؤوسهم، وضعدوا وشاحات سوداء وصفراء اللون وهتفوا دعماً لحزب الله بعدما لبوا دعوته للمشاركة في إحياء اليوم الأخير من ذكرى عاشوراء.

ومع بزوغ فجر الثلاثاء، وتلبية لدعوة حزب الله، بدأ الآلاف الرجال والنساء والأطفال بالتوافد إلى الضاحية الجنوبية، معقله في بيروت، لإحياء الذكرى السنوية لعاشوراء المتعلقة بالإمام حسين بن علي، حفيد النبي محمد الذي قتل على يد جيش الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، في واقعة الطف في العام 680 ميلادي، بمدينة كربلاء العراقية.

انتشرت ظاهرة الالاف السوداء المتوجهة إليها عبارات مثل «ما تركتكم يا حسين» و«السلام عليك يا أبا عبد الله» والحسين مني وأنا من الحسين»، وسواها من الالافات الموقعة باسم العائلات الشيعية، التحاقا أو تقريبا من حزب الله أو حركة أمل، اللذين يمثلان الشيعة في السلطة.

وجلس البعض على الأرض، وتنهمل الدموع من أعينهم وهم يستمعون إلى مجلس عزاء يروي سيرة الإمام الحسين، وذلك في مكان قريب من الموقع الذي حصل فيه قبل أسبوعين هجوم بطايرتين مسيرتين مفخختين، واتهم حزب الله إسرائيل بشنه.

ثم سار عشرات الآلاف في مسيرة ضخمة، وهتفوا «علمنا إسرائيل أننا قوم ليس ضعيفا»، ورددوا شعار «هيئات منا الذلة» المأخوذ من مقولة للحسين، إمام الشيعة الثالث من أصل 12، والذي يرون فيه مثالا للرجل الثائر والمظلوم.

جميع المدن الشيعية، وخاصة في مدينة كربلاء (118 كلم جنوب بغداد) عند ضريح الإمام الحسين، في تقليد اعتاد الشيعة على إحيائه.

وحمل المشاركون أعلاما ملونة، وارتدوا الملابس السوداء، وقام البعض بضرب أجسادهم بالأيدي والسلاسل الحديدية، فيما قام آخرون بضرب مقدمة رؤوسهم بالآلات جارحة حتى سالت دماؤهم، في مشهد يطلق عليه اسم «التطبير».

ولا تقتصر هذه الطقوس على العراق وإيران فحسب بل تمتد أيضا إلى تركيا وغيرها من البلدان حيث أحيا الآلاف من الأتراك من أتباع المذهب الجعفري، مراسم عاشوراء، بمناسبة الذكرى السنوية 1380 لاستشهاد الحسين و72 من أهل بيته وأصحابه، وفق التقويم الهجري.

واجتمع الآلاف، الإثنين، وسط مدينة إغدير، شرقي تركيا، لإحياء المراسم التي تقام كل عام، في اليوم العاشر من شهر محرم، حدادا على الحسين وأصحابه الذين قتلوا في واقعة كربلاء. واشتدحت العديد من المنازل والشوارع في إغدير وأقيمتها بالسواد، بهذه المناسبة.

واستمرت فعاليات برنامج عاشوراء، من الصباح وحتى ساعات الظهر، حيث تخللتها فعاليات عدة، وتليت آيات من القرآن الكريم، وأدعية ومرثيات من أجل شهداء كربلاء، خلال البرنامج. ولم يتمالك الكثير من الحاضرين أنفسهم، وانهمرت الدموع من عيونهم، خلال إحياء المراسم.

وتقام عاشوراء في اليوم العاشر من شهر محرم. وهذا الموعد هو اليوم الذي قتل فيه حفيد النبي في معركة كربلاء

إحياء ذكرى مقتل الإمام الحسين عادة اعتاد المسلمون على إحيائها، ويجمع المسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم على استذكار الحادثة. لكن تحويل الذكرى من جانبها الديني الصرف إلى اتجاهات سياسية تغالي في الانتماء الطائفي وتكرس مفاهيم الشار والنسب الجماعي، أصبح يتم عن توجيه رسمي خفي يسعى إلى استغلال الحدث والحادثة في مصالح أيديولوجية وسياسية توظفها إيران لشق صف المسلمين.

بغداد - أحيا الملايين من المسلمين في الكثير من الأقطار العربية والإسلامية ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين بن علي قبل نحو 14 قرناً ويحتفي السنة والشيعة بالمناسبة ويحيونها على أساس أنها تراث وكنز ثقافي ومعرفي وإنساني للجميع دونما استثناء، لكنها أخذت منحى خاصا في بعض الدول مثل إيران والعراق ولبنان واليمن وباكستان والبحرين والهند. واتخذت سلوكيات اللطم والتطبير بعدا آخر بعيدا عن مجرد التذكير بحادثة الطف إلى استغلال لطاقة الحزن والغضب والتأكيد على الثارات السياسية.

ومنذ قيام الثورة عام 1979، عملت إيران على توظيف المناسبة في أجندة تخدم أيديولوجية خاصة، أجندة قوامها تحويل الذكرى إلى تراجميديا تهدف من خلالها كل سنة إلى ترسيخ مبدأ الانتقام في الذهنية الشيعية وتجديد الأحقاد وصناعة الكراهية.

مناسبة للإذلال

أوضح الكاتب العراقي فاروق يوسف في حديثه لـ«العرب» أنه من المفاجئ أن تتحول الاحتفالات بمقتل الإمام الحسين إلى مناسبة للإذلال الذي يمارسه الإنسان في حق نفسه. وهو ما يمكن أن يستفيد منه نظام شمولي مثل نظام آيات الله في قفزه على القيمة المقدسة التي تنطوي عليها فكرة الحياة من أجل إشاعة ثقافة الموت.

وهو ما عبرت عنه الضغوط النفسية التي يمارسها حزب الله والمليشيات الشيعية في العراق من خلال المسيرات الجنائزية التي تتعطل بسببها الحياة لأكثر من أربعين يوما وتحويل تلك الممارسة إلى تقليد سنوي تهدر فيه الأموال ويتوقف فيه الناس لا عن العمل حسب بل وأيضا عن التفكير.

في لبنان ارتدى الآلاف الثياب السوداء، وعصبوا رؤوسهم، وضعدوا وشاحات سوداء وصفراء اللون وهتفوا دعماً لحزب الله

ومنذ فجر الإثنين قام مئات الآلاف من الشيعة في إيران والعراق بإحياء ذكرى «عاشوراء».

وشهدت مدينة مشهد الإيرانية وفي مرقد الإمام علي الرضا، حشودا ومسيرة عاشورائية بملايين من الزوار الأجانب. وانطلقت مراسم إحياء المناسبة في

